Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعن قريب يأتيك المرض الذي لا ينجح فيه طبيب، ثم تموت، وتكفن ويحفرون لك قبراً مظلمًا، ثم يدسون أنفك هذا في التراب، ثم تبعث عريان عطشان جوعان، ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ثم ينادي المنادي: من كان له حق على الغورى فليحضر.

فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله.

فتغير وجه السلطان من كلامه، وأوشك أن يختل عقله ولم يجد أمامه من حيلة سوى أن يعرض على الشيخ مبلغاً من المال هو عشرة آلاف دينار يشتري بها سكوته وصمته على مخازيه، وسلبه حرية الشعب وأمواله، وجبنه عن مواجهة الأعداء.

ولكن الرجل الذي يجابه السلطان بكلمة حق، محال أن تخدعه عروض الدنيا أو يغريه بريق الذهب فردها عليه قائلاً:

«أنا رجل ذو مال. ولا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنت محتاجاً لأجل الجهاد، لأجل تجهيز الجيش، من أجل الدفاع عن الإسلام أقرضتك وصبرت عليك.

يقول راوي الحديث:

فما رئي أعز من الشيخ ولا أذل من السلطان في ذلك المجلس.

ويتكاسل الغوري عن الجهاد.

ويتباطأ في إعداد العدة، ويهمل قول ربه:

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل[1]».

ويأتي الجيش العثماني بعدته وعتاده، ويستولي على مصر، ويطلب القائد المنتصر من أعيان الأمة وعلمائها وقوادها أن يأتوا إليه في القلعة مركز الحكم لتقديم فروض الولاء والطاعة.

وهرع الجميع إليه يتزلفون، وينافقون، ويقدمون الولاء والطاعة.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.